مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 28 عدد: 2 (رت 76) السنة: 2024

مبادئ التربية الحسنة في ضوء نماذج من القصص القرآني

The Principles of Good Upbringing in Light of Examples from Quranic Stories

د. مريم بوعافية[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
Bfiameriem.25@gmail.com
ريمة بوالريحان
طالبة ماستر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
rimabourihan@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/11/09 القبول 2024/02/16 النشر على الخط 2024/03/15
Received 09/11/2023 Accepted 16/02/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور القصص القرآني في التربية الحسنة، مع التنبيه إلى منهج القرآن الكريم في بثّ القيم والفضائل في النفوس، من خلال استنباط أهم المبادئ التربوية التي نستشفها من بعض قصص القرآن الكريم مثل قصة "امرأة عمران" وقصة "هاجر" وقصة "لقمان" عليهم السلام، مع بيان تطبيقاتها التربوية في حياة بني البشر عموما.

وقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى أنّ آيات القصص القرآني رسمت الطريق الأمثل في تربية النشء وبثّ القيم، حيث جمعت الكثير من المبادئ التربوية التي يحسن بالمربين اعتمادها في سبيل تربية ناجحة، باعتبارها أقوم منهج وأفضل سبيل يستطيع الطفل الاستمداد منه والأخذ به، للنجاح الدنيوي والأخروي.

الكلمات المفتاحية: التربية الحسنة، الطفل، القصص القرآني.

Abstract:

This study aims to highlight the role of Quranic stories in good upbringing, while emphasizing the methodology of the Quran in instilling values and virtues in souls, by deducing the most important educational principles that we can derive from some Quranic stories such as the story of "the family of Imran," the story of "Hagar," and the story of "Luqman" peace be upon them, along with explaining their educational applications in the lives of humans in general. Through this research, we have concluded that the verses of Quranic stories have outlined the optimal path in raising children and instilling values, as they have gathered many educational principles that educators should adopt for successful upbringing, considering it the best method and the best way for children to draw from and follow for success in both worldly and hereafter endeavors.

Keywords: Good upbringing, child, Quranic stories.

[1] المؤلّف المراسل: مريم بوعافية البريد الإلكتروني: **Bfiameriem.25@gmail.com**

1. مقدمة:

القرآن الكريم مصدر الأخلاق ومنبع القيم، إنه دستور حياتنا، ومنهج ينير دربنا، وقد حثّنا الله ﷻ على التفكر في معانيه والتدبر في آياته فهي مصدر الهداية في جوانب الحياة المتعددة، قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[ص: 29]، ولكن مع الابتعاد عن عصر التنزيل اتسعت الهوّة بين المسلمين وهدايات القرآن الكريم، وخاصّة في العصر الحديث الذي شهد تدهور أحوال المسلمين في شتى الأصعدة، ولعل من أهمها الصعيدين التربوي والأخلاقي؛ حيث تشوّهت القيم وانهار سلم المبادئ، فصرنا نعيش شتاتا وضياعا، ونحن اليوم في أمسّ الحاجة للعودة إلى الفطرة السليمة، فهي الملاذ الصحيح والبوصلة الهادية التي تنقذنا من حالة الفوضى التي نعيشها، وذلك لا يأتي إلا بالرجوع إلى النبع الصافي ومعين القرآن الذي لا ينضب.

وفي هذا السياق يأتي دور القصص القرآني ليشكل نقطة تواصل حاسمة بين الأجيال وموروث الإيمان والقيم الإسلامية، هذه القصص التي تحمل في طياتها دروسا ملهمة وحكما تربوية عميقة، قادرة على نقل القيم والأخلاق الإسلامية بطريقة تجعلها أكثر وصولا وفهما، باعتبارها من أهم الأطر التي تحتوي على نظم تربوية تتلاءم مع كل البشر عبر الأزمنة والعصور؛ كما أنها تقدم لنا نماذج للتربية الحسنة، ولعل من أهمها ما تعلق بقصة امرأة عمران وابنتها مريم وقصة هاجر وابنها إسماعيل وقصة لقمان مع ابنه عليهم السلام، وهذه القصص الثلاث تمثّل عيّنة رائدة ومتميّزة في هذا الباب، يمكن أن نستلهم منها الكثير من المبادئ التربوية والقيم الأخلاقيّة، ومن هنا تنبثق إشكالية البحث وهي: ما هي أهم المبادئ التربوية التي أرشدت إليها القصص الثلاث؟ وكيف يمكن الاستفادة منها في تربية النشء؟

فكانت ورقة البحث التي تحمل عنوان: "**مبادئ التربية الحسنة في ضوء نماذج من القصص القرآني**" تهدف إلى المساهمة في إعادة بثّ دور القصص القرآني، وبيان مكانتها في تعزيز تربية الأجيال الصاعدة وتوجيهها نحو القيم الإسلامية في عصرنا، وذلك بلفت أنظار المربين إلى معالم المنهج التربوي الأمثل الذي يحقق مقاصد القرآن الكريم، وفق رؤية شمولية منضبطة قوامها المحافظة على النشء الجديد من الأساليب التربوية الحديثة المنحرفة عن الفطرة فكرة وسلوكا.

2. المطلب الأول: مدخل تمهيدي.

تجمع بين التربية والقصة علاقة متجذرة وحيوية، ذلك أنّ القصة القرآنية تمثّل جزءا أساسيا من التربية الإسلامية، وهي تلعب دورا كبيرا في تشكيل القيم والأخلاق وفهم الدين والمعنى الحقيقي للإيمان، لما تحمله في طياتها من معان عميقة وحكم دقيقة؛ في هذا السياق يصبح من الضروري تعريف التربية وكذا القصة القرآنية بوضوح ودقّة لفهم أفضل، وذلك لأهميتهما ودورهما في حياة الأفراد والمجتمعات.

1.2 . الفرع الأول: تعريف التربية.

أولا: تعريف التربية لغة.

يدور معنى التربية في اللغة حول معان ثلاثة:

الأول: التربية بمعنى النماء والزيادة، ورد في الصحاح: "ربا الشيء يربو ربوا، أي زاد، والرابية: الربو، وهو ما ارتفع من الأرض"[1].

وقال ابن فارس: "الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو. تقول من ذلك: ربا الشيء يربو، إذا زاد. وربا الرابية يربوها، إذا علاها. وربا: أصابه الربو؛ والربو: علو النفس. قال:

حتى علا رأس يفاع فربا ... رفه عن أنفاسها وما ربا"[2].

الثاني: التربية بمعنى نشأ وترعرع، "قال الأصمعي: ربوت في بني فلان أربو، إذا نبت فيهم ونشأت، قال: وربيت فلانا أربيه تربية، وتربيته، وربيته، وربيته، بمعنى واحد"[3].

الثالث: التربية بمعنى الإصلاح، يقال: "ربّ الضيعة، أي أصلحها وأتمّها، ورب فلان ولده يربه ربا، وربه، وتربه، بمعنى أي رباه، والمربوب: المربى"[4].

وقال ابن منظور: "الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم ... والعرب تقول: لأن يربني فلان أحب إليّ من أن يربني فلان؛ يعني أن يكون ربا فوقي، وسيدا يملكني ... ويكون الرب المصلح، رب الشيء إذا أصلحه"[5].

ثانيا: تعريف التربية اصطلاحا:

تعددت التعاريف اللغوية للتربية وتنوعت بتنوع مشارب من ألّف فيها وغاياتهم وتوجهاتهم، وقد اخترنا منها ما يتوافق وموضوع البحث ويوضح المقصد منه، وهما تعريفان اثنان:

التعريف الأول: ذهب فيه صاحبه إلى أنّ التربية "تعني الرعاية والعناية في مراحل العمر الأدنى، سواء كانت هذه العناية موجهة إلى الجانب الجسمي أو موجهة إلى الجانب الخلقي الذي يتمثل في اكتساب الطفل أساسيات وقواعد وسلوك ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها"[6].

وهذا التعريف نبّه إلى مسألة دقيقة ترشدنا إلى أهمية تحقيق التوازن بين الجوانب الجسمية والجوانب النفسية والأخلاقية في تربية النشء، وذلك أن التربية أو التنشئة ليست مقتصرة على تنمية الجانب الجسمي للطفل فقط، بل إنها تهدف أيضا إلى تطوير الجانب الخلقي والأخلاقي له ولعله الأهم.

التعريف الثاني: جاء فيه أن التربية هي: "الإصلاح والتهذيب، حيث تبذل جهود كثيرة ومستمرة لرعاية الطفل وإصلاح أحواله وعدم إهماله، بدءا من الأسرة مرورا بالمدرسة ودور العلم، ووعظ العلماء وقراءة الكتب وسماع البرامج الهادفة، وهذا وغيره يساعد في إصلاح الطفل وإثراء نفسه بالعلم المفيد، والنهج السديد، إذ يرتبط طلب العلم بمناهج التربية، مما يعطي الأطفال مع مرور الوقت

---

1 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج6، ص2350.

2 معجم مقاييس اللغة، ج2، ص483.

3 تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي، ج15، ص198.

4 الصحاح، الجوهري، ج1، ص130.

5 لسان العرب، ج14، ص 399-401.

6 الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام، أحمد محمود حسن عياد، ص14.

خبرات ومهارات وتوجيهات تساعدهم على تحقيق أهدافهم في الحياة، فلتربية دورها الرائد وأثرها العميق في توجيه الطفل وربطه بالأخلاق الحميدة، والعلاقات الإنسانية الراقية وكبح الشهوات ورفع القوى نحو الخير والصواب"[1].

أشار صاحب هذا التعريف إلى أهمية الإصلاح والتهذيب في التربية، إذ يجب أن تكون هناك جهود مستمرة لرعاية الأطفال وتصويب سلوكاتهم وتطوير مهاراتهم وقيمهم.

2.2. تعريف القصة القرآنية.

يتضمن هذا الفرع شقين، بدأت في الشق الأول ببيان المدلول اللغوي للقصة، ثم خصصت الشق الثاني منه للتعريف الاصطلاحي.

أولا: تعريف القصة لغة:

القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر، إذا تتبعته؛ يقال قصّ أثره أي تتبعه واقتفاه من خلال آثاره وشواهده، ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾[القصص: 11] أي: تتبعي أثره.

والقَصص: الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتّى صار غالبا عليه، قال:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ ﴾[آل عمران: 62]. والقِصص: جمع قصة: وهي الخبر والحادثة، والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها[2].

وقد أجمل القول في معنى القصة صاحب الكليات فقال: "هي الأمر والخبر، وقصصت الحديث: رويته على وجهه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]، أي: نبيّن لك أحسن البيان، وقصّ عليه الخبر قَصصا بالفتح. والقِصص بالكسر: اسم جمع القصة"[3].

ثانيا. تعريف القصة اصطلاحا: تطرق عدد من المفسرين والباحثين لبيان المراد بقصص القرآن، وسأقتصر على ذكر عدد منها.

قال الفخر الرازي: "القصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"[4].

---

1 تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، بديوي يوسف وقاروط محمد، ج1، ص14.

2 ينظر: كتاب العين، الفراهيدي، ج5، ص12/ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص11/ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص671/ تاج العروس، الزبيدي، ج18، ص98/ مختار الصحاح، محمد الرازي، ص560.

3 الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص734.

4 مفاتيح الغيب، ج8، ص250.

وهذا التعريف يشمل القصص، وينطبق معناه على غيره من الخطب الدينية والمواعظ وغيرها، وعليه فهو ليس مانعا من دخول غير القصص القرآني ضمن هذا التحديد.

وعرفه ابن جزي بقوله: "وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين"[1].

وهنا لفت صاحب هذا التعريف إلى قيد ضروري، وهو كون القصص يُراد به أخبار الأمم الماضية من الأنبياء وغيرهم، ولكنه أغفل ما نبه إليه من سبقه، فيكون تعريفه بذلك مانعا غير جامع.

ويقول صاحب الظلال في تعريفه للقصة: "القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه...إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء؛ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها"[2].

وتقول مريم السباعي مستخلصة معنى القصة في القرآن الكريم من الركائز اللغوية والمعاني القرآنية: "تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم وأعمالهم وبخاصة مع رسل الله إليهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة"[3].

وهذا التعريف من أوضح وأشمل التعاريف التي وقفنا عليها، إلا أن صاحبته مالت فيه إلى التفصيل والشرح ولو كانت أجملت لكان تعريفها أدق والله أعلم.

وبعد عرض هذه التعريفات واستخلاص أهم الركائز التي يقوم عليها معنى القصص اصطلاحا، يمكن القول أنّ قصص القرآن هي: **أخباره عن أحوال الأمم الماضية من الأنبياء وغيرهم ممن كانوا قبل النبي ﷺ، بهدف العبرة والعظة والهداية والتربية.**

3.2 . أهمية التربية بالقصص القرآني.

تعد التربية بالقصص القرآني من الوسائل المهمّة لتعليم القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية، وهي من أنجح أدوات التربية في يد المربين والمصلحين، إذ لها العديد من المميزات التي تساهم في تطوير شخصية الإنسان وتوجيهه؛ وفي هذا الفرع سنلخص أهمية التربية بالقصص القرآني في نقاط كالآتي:

– المساهمة في غرس عقيدة التوحيد: "الدارس للقصة القرآنية يدرك الدور العظيم الذي قامت به في تربية العقيدة وتعهدها وتنميتها، إذ ليست الغاية من التربية سوى تكوين العواطف الصالحة، ولكن هذه العواطف لا تصبح أساسا للخلق الكريم إلا إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة، مصدر الإيمان والخير والأمن"[4].

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص15.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص143.

[3] القصة في القرآن الكريم، ص35.

[4] سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ص551

- الاهتداء بها إلى طريق الصلاح: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: 111]

قال ابن كثير: "تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويبتغون به الرحمة من رب العباد"[1].

– إبراز معالم القدوة الحسنة وبيان ثمراتها في العاجل والآجل: قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: 90].

"لعل من أهم فوائد القصة القرآنية، ولا سيما قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إيجاد القدوة البشرية الحسنة، وهي مرتكز مهم في التربية؛ لأن وجود من تمثل بمكارم الأخلاق، دليل على إمكانية العمل بمثل عملهم"[2].

قال عبد الرحمن السعدي: "ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء: أن نحبهم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم ولا نزال نُزري أنفسنا بتأخرنا عنهم، وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة"[3].

– تعليم القيم والأخلاق: تتضمن القصص القرآني دروس معنوية وقيم إيمانية عظيمة، تساهم في تقويم الأخلاق وتغذية العواطف وغرس القيم السامية والتخلص من القيم المنحرفة، فهي من "أبلغ وسائل التربية القرآنية توجيها وتعليما، وأوفرها خبرات وتجارب وعواطف دينية، قصصه الموجّه الهادف؛ لأن تأثيره بالمثال، وإقناعه بالواقع"[4].

– تعزيز السلوك الإيجابي: تقدم القصص القرآنية نماذج إيجابية للسلوك والتصرف، وتحثّ على العمل الصالح والخدمة للمجتمع، من خلال توجيه النشء نحو التفكير في تأثير أفعالهم على الآخرين والمجتمع بشكل عام.

وعليه فإن القصص القرآني يمكن أن تؤدي دورا حيويا في بناء شخصيّات قوية ومتوازنة لدى الأفراد، وتساهم في تشكيل أخلاقهم وسلوكهم بطريقة إيجابية، "فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية، ولا محلقة في جو ملائكي محض؛ لأنها إنما جاءت علاجا لواقع البشر، وعلاج الواقع البشري يتم بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثله الرسل والمؤمنون، والذي تؤول إليه بقصة بعد الصبر والمكابدة والجهاد والمرابطة، أو الذي ينتهي عند المطاف لعلاج ذلك الضعف والنقص، والتردي البشري في مهاوي الشرك، أو حمأة الرذيلة، علاجا ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس للسمو، ما استطاعت، إلى أعلى القمم، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذين استسلموا إلى الضعف والنقص، ولم يستجيبوا لنداء ربهم فيزكوا أنفسهم"[5]؛ والمربي الناجح هو الذي يحسن التوظيف التربوي الذي ينفذ من خلاله إلى قلب

[1] تفسير القرآن العظيم، ج4، ص366.

[2] أثر القصص القرآني في تعليمية الإنسان، باي بن يزيد، ص109.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص128.

[4] سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، ص572.

[5] أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ص190.

طلابه وأبنائه، ليخرج بعد ذلك بالدروس والعظات والعبر، فلابد أن يدرك جيّدا أنّ "أحداث القصص القرآني صالحة للسير مع كل نفس، موجهة لكل جيل، وذلك لتشابه الأحداث وتماثل النفوس"[1]، أما أن يسرد القصة دون أن يقف مع المواعظ والعظات والعبر، وإنما مجرد استمتاع حسي وعقلي وانتهى الموضوع، فليست هذه هي الوظيفة التربوية للقصة.

3. المطلب الثاني: المبادئ التربوية المستنبطة من قصة امرأة عمران وهاجر ولقمان عليهم السلام.

تحمل القصة القرآنية في طياتها كنزا من المعاني والدروس، لذا فهي مصدر غني لاستخلاص مبادئ التربية الحسنة، باعتبارها من أهم الأسس التي تشكل الأخلاق والقيم لدى المسلمين وتعلمهم كيفية التصرف بحكمة في مختلف جوانب حياتهم؛ ومن بين تلك القصص القرآنية التي تحمل معان تربوية غاية في الأهمية، نجد قصة امرأة عمران وابنتها مريم وقصة هاجر وابنها إسماعيل وقصة لقمان وابنه عليهم السلام.

هذه القصص الثلاث سيأتي الشق التطبيقي ليكشف عن أهم المبادئ التربوية والقيم الأخلاقية المستنبطة منها، في محاولة للتذكير بما أرشدت إليه لتحقيق الفهم العميق والتأثير الإيجابي على الواقع.

1.3. الفرع الأول: المبادئ التربوية المستنبطة من قصة امرأة عمران أم مريم عليهما السلام.

تعددت القصص القرآني في باب التربية، وأرشدتنا الآيات إلى المنهج الراقي والرزين الذي اتبعته الأمهات العظيمات، اللائي كن مثالا أعلى في التربية والتنشئة الطيبة والنيّة الخالصة في تسديد أولادهن نحو الأفضل والأصوب، ومن أهم تلك القصص قصة امرأة عمران مع ابنتها في القرآن الكريم[2]، التي تعدّ مصدر إلهام للمربين عامة ودرسا قيّما للأمهات خاصة، وذلك بما تضمنته من قيم نبيلة ومبادئ تربوية راقية، لخصناها في نقاط كالآتي:

1. **صلاح النيّة في الإنجاب**: إن النيّة الصالحة أساس الأعمال، قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"[3]، وعلى قدر النيّة تكون الثمرة، فامرأة عمران نذرت أن تجعل ما في بطنها خادما لبيت المقدس، لقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[آل عمران: 35]، فاستجاب لها الله ﷻ ووهبها مريم.

---

[1] سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، التهامي نقرة، ص581.

[2] وردت القصة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[آل عمران: 35-36].

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، رقم: 1، ج1، ص3.

يقول محمد رشيد رضا في تفسيره للآية: "أي أنه ﷻ كان سميعا لقول امرأة عمران، عليما بنيّتها في وقت مناجاتها إياه –وهي حامل– بنذر ما في بطنها له حال كونه محررا، أي معتقا من رق الأغيار لعبادته سبحانه وتعالى وخدمة بيته"[1].

ونستفيد من هذا أن النيّة الحسنة من المبادئ التربوية التي لابد من استحضارها، في التربية، فلابد للمربي من نيّة سابقة في تربيته لولده وماذا يريده من الولد. قال جمال الدين القاسمي: "وهكذا الواجب على كل امرئ إذا طلب ولدا، أن يطلب للوجه الذي طلبت امرأة عمران وزكرياء، حيث قال: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[آل عمران: 38]، وما سأل إبراهيم: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الصافات: 100] وكقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[الفرقان: 7] هكذا الواجب أن يطلب الولد، لا ما يطلبون من الاستئناس والاستنصار والاستعانة بأمر المعاش"[2].

2. **حسن اختيار الاسم**: إنّ من حقوق المولود في الإسلام حسن اختيار الاسم الذي يحمله، وتجنيبه الأسماء القبيحة والمذمومة؛ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[آل عمران: 36]، يقول صاحب الكشاف: "وإن اختيار الاسم فيه تقرب إلى الله تعالى، لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها"[3].

وعليه فمن أهم المبادئ والأسس التربوية التي ينبغي للآباء العناية بها هو اعطاء الطفل اسما يعتز به، يحمل معنى محمودا فلا يكون به موضع تهكم واحتقار، وهذا يكون في الأيام الأولى من حياته وفي ذلك اقتداء بالمصطفى ﷺ، فقد ثبت عنه أنه قال: "ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم"[4].

3. **الرضا بما يكتبه الله تعالى**: إن الأم المربية الصالحة هي التي ترضى بما يقدره الله لها، ولا يحل لها السخط والضجر من الحمل والذرية ومشاقهما، حتى وإن لم يوافق ما تريد فهي تعلم أن اختيار الله ﷻ خير مما تختاره هي لنفسها، وفي امرأة عمران خير قدوة فقد تمنت الولد، ولكن الله أراد لها غير ذلك.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: 36]، يقول الإمام السعدي معلقا على معنى الآية: "كأنها تشوّقت أن تكون ذكرا لتكون أقدر على الخدمة وأعظم موقعا، ففي كلامها نوع عذر من ربها"[5].

---

[1] تفسير القرآن الحكيم، مج3، ص238.
[2] محاسن التأويل، ج2، ص57.
[3] الكشاف، الزمخشري، ج1، ص356.
[4] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم: 2315، ج4، ص107.
[5] تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص128.

وعليه فإن الرضا والتفاؤل كانا حكمة عظيمة في قصة امرأة عمران فلا بد من الاستسلام لأوامر الله تعالى والرضا بما قسم؛ قال محمد الطاهر بن عاشور: "وتكرر التأكيد في ﴿وإني سميتها﴾ و﴿وإني أعيذها بك﴾ للتأكيد... وكأنها أكدت هذا الخبر إظهارا للرضا بما قدر الله تعالى، ولذلك انتقلت إلى الدعاء لها الدال على الرضا والمحبة"[1].

4. **الدعاء والالتجاء إلى الله**: لا شك أن للدعاء أهمية عظيمة في تربية الأبناء تربية إسلامية، فلا صلاح ولا فلاح إلا بهداية الله ﷻ، فحق الأم الصالحة أن تكثر من الدعاء لأبنائها بأن يعيذهم الله من الشيطان الرجيم، وتسأل الله لهم الصلاح والهداية، والاستقامة والثبات على دين الله، كما فعلت امرأة عمران عليها السلام، لقوله تعالى:﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[آل عمران: 36]، تعني بقولها: "وإني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم، بك، وأصل "المعاذ": الموئل والملجأ والمعقل. فاستجاب الله لها، فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلا"[2]؛ لذا وجب علينا أن نتعلم من خلق الصالحات، ونحرص على أن نحف أولادنا بجميل الدعوات.

5. **تحديد الأهداف التربوية**: إن نجاح العملية التربوية يكون على قدر علو شأن أهداف التربية، لذا فإن الأم المربية الصالحة هي التي ترسم أهدافا تربوية سامية، تربي أبناءها على إثرها، اقتداء بأمهات الأنبياء؛ فامرأة عمران حددت الهدف من إنجابها للذرية ونذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس وسمت ابنتها "**مريم**" بمعنى الهدف الذي رسمته لها[3]؛ قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾ [آل عمران: 35]، و"محررا" أي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر أو مخلصا للعبادة"[4].

وصفوة القول فيما ذُكر أنّ قصة أم مريم عليهما السلام عظيمة وفيها فوائد جليلة، نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها والعمل بها في هذا الزمن، فقد جسّدت "حرص النّساء الصالحات على تقديم الآخرة على الدنيا؛ فهذه امرأة عمران نذرت مولودها لخدمة بيت المقدس وهي من أعظم الأعمال وأشرفها عندهم، مع ما فيه من الخير الأخروي، فتأملي...هذا النضج والإدراك، والفقه والمقاصد، وقارني به أحوال نساء هذا الزمان عند ظهور الحمل وبعده، وماتتمناه كلّ واحدة أن يصير إليه مولودها، ترين بعينك سفاهة تفكيرهن، وضعف إدراكهنّ، والواجب على الإنسان أن يكون عالي الهمة، نافذ الرؤية، وعلى قدر الهمّة، تأتي الأمنية"[5].

2.3. الفرع الثاني: المبادئ التربوية المستنبطة من قصة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام: تفتقر الأمة العربية والإسلامية اليوم إلى أمثال هاجر أم إسماعيل وزوج سيدنا إبراهيم عليهم السلام، فهي نموذج طيّب للزوجة الصالحة المطيعة، والأم المؤمنة الصادقة المحسنة، هاجرت فرارا بدينها وامتثالا لأمر ربّها، واحتسبت ما تلاقيه من محن في سبيل الله؛ صبرت على ألم الفراق، وعلى الظروف القاسية التي وضعت فيها، واجتهدت في الأخذ بالأسباب للوصول إلى النجاة.

[1] التحرير والتنوير، ج3، ص234.
[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ج5، ص339.
[3] ينظر: مقومات الأم المربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، نورة مسفر عبد الله القحطاني، ص 929-932.
[4] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج2، ص27.
[5] إتحاف النسوان بفوائد قصة امرأة عمران، مراد بن أحمد عطاسي، ص27.

قال ﷻ على لسان سيّدنا إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37].

تصوّر لنا الآيات كيف دعا سيّدنا إبراهيم الله ﷻ، وكيف استودع زوجه وابنه عند من لا تضيع ودائعه، وقصّة هاجر مع ابنها إسماعيل تحمل في طيّاتها جملة من القيم الملهمة والمبادئ التربوية الراقية، يمكننا أن نستنبطها ونطبقها في حياتنا اليومية لبناء أسرة مثالية ومجتمع أفضل، وإليك أهمها:

1. **الصبر والثّقة في الله:** يعد صبر الأم سلاح نجاحها في تربية أبنائها، فهو أساس التربية السليمة، ذلك أنّها تتعامل مع ما تواجهه من تحديات ومسؤوليات بصدر رحب وحب، مما يؤدي إلى تكوين علاقات قويّة مع أولادها تساهم في نموهم الصحي والسعيد، فهي تمسك بزمام القوة ولن يخيّب الله ﷻ مسعاها، لذلك لا غنى لكل أم مربية عن الصبر[1]؛ ولنا في هاجر أم إسماعيل عليهما السلام قدوة حسنة، فقد حكت لنا الآيات كيف تركهما نبي الله إبراهيم عليه السلام في واد غير مزروع بأمر من الله، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[إبراهيم: 37]، وقصتهما تعكس الصبر والايمان العميق، حيث واجهت هاجر وابنها إسماعيل العديد من التحديات في الصحراء بدون مصادر تغذية أو ماء، ومع ذلك ظلت هاجر مؤمنة بأن الله لن يتركها وابنها دون رعاية، وقد تحقق لها ذلك وتتالت عليها بشائر الفرج ورزقها الله من فضله بعطاء لا ينضب؛ فهذه القصة تعلمنا أهمية الثقة في الله والصبر في مواجهة التحديات والابتلاءات في الحياة.

2. **حسن التوكل على الله مع السعي والأخذ بالأسباب:** فقد كان السعي بين الصفا والمروة للتذكير بالبحث عن الأسباب، في هضاب قد انقطعت بها الأسباب ولم يبق إلا باب واحد، ذلك الذي عبرت عنه أمنا هاجر عليها السلام، فهي تعلمنا أن علينا الأخذ بالأسباب إلى أقصى حد ممكن، وكذلك إبراهيم عليه السلام ويقينه الكامل في أوامر الله وأنه لن يضيعهم لقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ .

قال الماوردي: "يعني مكة، أسكنها في بطحائها ولم يكن بها ساكن، ثقة بالله وتوكلا عليه"[2].

يقول سيد قطب في تفسيره للآية: "ويمضي إبراهيم في دعائه يذكر إسكانه لبعض أبنائه بهذا الوادي المجدب المقفر المجاور للبيت المحرم، ويذكر الوظيفة التي أسكنهم في هذا القفر الجدب ليقوموا بها: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ لماذا ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فهذا هو الذي من أجله أسكنهم وهذا هو الذي من أجله احتملوا الجدب والحرمان"[3].

3. **التربية بالقدوة الحسنة:** مما ميز هاجر عليها السلام ورفع شأنها طاعتها لزوجها إبراهيم عليه السلام، حيث قدم بها مكة في صحراء قاحلة بدون زرع ولا ماء ولا أنيس ولا رفيق، لكنها عرفت معنى اليقين بصدق وعد الله وأنه لن يضيعها؛ فحري بكل امرأة أن تتعلم من مدرسة هاجر عليها السلام، لتجني ثمرات التربية في بيت النبوة، فهاجر رضي الله عنها كانت قدوة لابنها في الصبر

---

[1] ينظر: مقومات الأم المربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، نورة مسفر عبد الله القحطاني، ص931.

[2] النكت والعيون، ج3، ص138.

[3] في ظلال القرآن، ص2109- 2110.

والشجاعة والامتثال لأوامر الله تعالى واليقين بأن ما عند الله خير وأبقى؛ وقد أثمر ما غرسته ولدا صالحا طائعا مستسلما لله، حيث قال لأبيه ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[الصافات: 102 ل]أل، ورجلا مسئولا ومربيا قائدا قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ إِسۡمَـٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[مريم: 54].

ومعلوم أن الولد الصالح امتداد لوالديه، والأثر النافع الباقي بعد موتهما، لذا وجب تقديم قدوة حسنة للأطفال في تصرفاتنا وتعاملنا مع الله ﷻ ومع الناس، لأن ذلك يساهم بشكل كبير في وتشكيل شخصياتهم وترسيخ القيم والأخلاق في نفوسهم وتجهيزهم لبناء مجتمع أفضل.

4. امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى: تمثل قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أنموذجا للإيمان الراسخ والتفاني في طاعة الله تعالى، وهي كذلك درس حيّ في الثقة الكاملة بقدرة وحكمة الله ﷻ، حيث برز تأثير التربية النبوية الفذّة ودور الوالدين في زرع بذور العقيدة السليمة، التي أثمرت الثقة المطلقة وامتثال أوامره ﷻ في أوقات الاختبار.

يقول الإمام السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[الصافات: 102]: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ الغلام ﴿ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴾ أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه، ﴿قَالَ ﴾ إسماعيل صابرا محتسبا، مرضيا لربه، وبارا بوالده ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾ أي: امض لما أمرك الله ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى"[1].

5. البذل والتضحية: ظهرت قيم البذل والتضحية بشكل واضح في قصة هاجر عليها السلام، بل هي مدرسة في ذلك، مرت بتحديات جسام ونجحت فيها، فقد ضحّت بالراحة الشخصية من أجل رعاية وحماية الأسرة، ويتجلى ذلك في عدد من المواقف ولعل من أهمها حين تركها إبراهيم عليه السلام في الصحراء، كانت على استعداد لتقديم كل ما في وسعها لضمان رعاية ابنهما لما أيقنت أنه أمر الله ﷻ.

ثبت في صحيح البخاري أن هاجر قالت لإبراهيم بعدما تركها وابنها إسماعيل في مكة وليس عندهم شيء: "يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آالله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا"[2].

فقد رضيت هاجر عليها السلام، وسلمت أمرها لله، وثقت به، وأحسنت التوكل عليه، فكانت نعم الأم والزوجة، ولم تكن كثيرة الشّكوى والتّبرم من عيشها، ولا جاحدة لنعمة الله عليها؛ كما هو حال بعض النساء والله المستعان.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، ص706.

[2] صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: يزفون النسلان في المشي، ج4، ص146.

وقد نبّه الإمام القرطبي إلى مسألة غاية في الأهمية ترشدنا إلى ضرورة الإسقاط الصحيح لما جاء في القصة، قال: "لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا[1] في طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم، واقتداء بفعل إبراهيم الخليل، كما تقول غلاة الصوفية في حقيقة التوكل، فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله لقوله في الحديث: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم"[2].

وهذه أهم القيم والمبادئ التربوية التي وقفنا عليها في قصة هاجر مع ابنها إسماعيل عليهما السلام، وقد جسّدت لنا مثالا للزوجة المؤمنة، والأم الفاضلة، والمربيّة القائدة، الواثقة بوعد الله، الراضية بقضائه، المحتسبة على المحن والابتلاءات من أجل مرضاة الله تعالى، الحريصة على التربية وغرس المبادئ الفاضلة والأخلاق الرفيعة في ابنها، الذي كان صادق الوعد وكان رسولا نبيّا يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه راضيا ومرضيا[3].

3.3. الفرع الثالث: المبادئ المستنبطة من قصة لقمان الحكيم وابنه:

أرشدتنا قصة امرأة عمران وكذا قصة هاجر عليهما السلام إلى دور الأم في غرس القيم والمبادئ التربوية الفاضلة، وفي هذا الفرع بحول الله سنركز على دور الأب في التنشئة الطيّبة السليمة للطفل، وقد اخترنا نموذجا قرآنيا رائدا في ذلك تجسّد في قصة لقمان الحكيم مع ابنه، فهي من أعظم القصص التي يمكن للمربي الاستفادة منها في بناء الأخلاق وغرس المبادئ السّامية في الطفل.

إن الوصايا الواردة في قصة لقمان الحكيم لابنه تضمنت فوائد عظيمة وتوجيهات كريمة، ونهجا سديدا في الدعوة إلى الله وتربية الأبناء وتنشئة الأجيال، قوامه جملة من القيم والمبادئ التربوية سيأتي تلخيص لأهمها في نقاط كالآتي:

1. **ترتيب الأولويات والبدأ بالأهم فالمهم**: أرشدت آيات سورة لقمان التي وردت فيها وصايا لقمان لابنه إلى منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ونبّهت إلى حكمة لقمان في ترتيب وصاياه لابنه فبدأ بأهم مسألة وهي التوحيد التي تقتضي النهي عن الشرك؛ ثم ذكر بعده باقي وصاياه، وهذا من الحكمة التي وهبه الله إياها. وقد جاء الحديث عنها في الآية التي سبقت الوصايا وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾[لقمان: 12]، يقول الإمام الطبري: "ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول"[4].

ويستفيد المربي من ذلك في أنه لابد أن يحسن ترتيب الأولويات، فيبدأ بالأهم فالمهم فالأقل أهمية في تربية الأولاد وتنشئة الأجيال.

2. **اختيار أسلوب مؤثّر**: وهذا نلحظه جليا في موعظة لقمان عليه السلام: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ ﴾[لقمان: 12] فيظهر من حديثه حسن اختياره للألفاظ فقال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ وكرّرها عدة مرات وهو يوصيه، ولا شك أن وقع هذه الكلمة

---

[1] . يقصد قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾.
[2]. الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص69.
[3] ينظر تفصيل القصة: المستضعفات من النساء وصاحبات الجاه والسلطان في ضوء القرآن الكريم، أسماء رياض، ص 164/ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ج1، ص260.
[4] جامع البيان، ج18، ص45.

عظيم في قلب ابنه، فقد تودد إليه قبل أن يبدأ بنصيحته فتكون بذلك أدعى للقبول، يقول صاحب التحرير والتنوير: "و(بُنَيّ) تصغير (ابن). ..والتصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير كناية عن الشفقة به والتحبب له، وهو في مقام الموعظة والنصيحة إيماء وكناية عن إمحاض النصح وحب الخير، ففيه حث على الامتثال للموعظة"[1]؛ وهذه لابد أن يدركها المربي ويوظفها في التربية، فشتان بين هذا وبين أسلوب يبدأ بالزجر والصراخ وإلقاء الأوامر.

3. **غرس عقيدة التوحيد**: كشفت قصة لقمان مع ابنه عظيم شأن غرس العقيدة السليمة، وأهمية بثّ أصول التوحيد في قلوب الأفراد عامة والنشىء الجديد خاصة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: 13]، فأوّل ما ابتدأ به لقمان وصيته لابنه هو توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة، فهو المستحق للعبادة وحده وذلك يقتضي نفي الشرك والتحذير منه، قال ابن كثير: "وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، ثم قال محذرا له: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: هو أعظم الظلم"[2].

قال ابن عاشور: "ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتُها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل"[3].

وعليه فإن للوالدين دور عظيم في حسن تربية الأولاد وتوجيههم نحو الأفضل، فهما المرشد القويم والمعلم السديد والموجّه الراقي، الذي يسعى في سبيل إسعادهم وغرس العقيدة السليمة في نفوسهم، وتنشئتهم على الإيمان القوي أي على التربية الإيمانية الإسلامية.

4. **حفظ حقوق الوالدين والبّر بهما:**

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[لقمان: 14]، "أي: وأمرناه ببرهما وطاعتهما، والقيام بحقوقهما، وكثيرا ما يقرن القرآن بين طاعة الله وبر الوالدين"[4].

يقول ابن عاشور في حديثه عن المناسبات في الآية: "وأحسن من هذه المناسبة أن تجعل مناسبة هذا الكلام أنه لما حكى وصاية لقمان لابنه بما هو شكر الله بتنزيهه عن الشرك في الإلهية، بيَّن الله أنه تعالى أسبق منّة على عباده إذ أوصى الأبناء ببر الآباء، فدخل في العموم المنة على لقمان جزاء على رعيه لحق الله في ابتداء موعظة ابنه فالله أسبق بالإحسان إلى الذين أحسنوا برَعْي حقه؛ ويقوي هذا التفسير اقتران شكر الله وشكر الوالدين في الأمر"[5].

---

[1] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج21، ص55.
[2] تفسير القرآن العظيم، ج6، ص300.
[3] تفسير التحرير والتنوير، ج21، ص55.
[4] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج21، ص82.
[5] التحرير والتنوير، ج3، ص234.

5. **استحضار مراقبة الله في كافة الأحوال والأعمال**: وهذه المسألة جد مهمة في تربية النشىء وإعداد الأجيال، فإذا زرع الآباء والمربين المراقبة الذاتية في نفوس الأبناء لله ﷻ في السر والعلانية، فقد وفقوا إلى خير كبير.

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[لقمان: 16] يقول صاحب التفسير الوسيط: "فالمقصود من الآية الكريمة، غرس الهيبة والخشية والمراقبة لله- تعالى: لأنه –سبحانه – لا يخفى عليه شيء في هذا الكون، مهما دق وقل وتخفى في أعماق الأرض أو السماء"[1].

6. **الحث على الطاعات والعبادات**: انتقل لقمان الحكيم من وصايا العقيدة إلى وصايا العبادة، ونبّه ابنه إلى عدد منها وابتدأ أولا بالصلاة، فهي عماد الدين.

"قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[لقمان: 17-18] تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر بلطف ولين وحكمة بحسب جهدك، وتحمل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، وأعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها"[2].

7. **التنبيه إلى الآداب الاجتماعية:**

حثّ لقمان الحكيم ابنه على ضرورة حفظ جملة من الآداب الاجتماعية، حملت في طياتها قيما عميقة تسهم في حفظ مصالح الناس ودفع الرذائل عنهم، ومن بين تلك الآداب: الصدق، والأمانة، والتواضع، والاحترام.

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[لقمان: 17-19][3].

وقد وضع لقمان هذه القيم لتعليم ابنه قواعد السلوك الصحيح والعلاقات الإنسانية المثمرة؛ فالصدق يبني الثقة ويسهم في تقوية العلاقات الاجتماعية، والأمانة تعطي قيمة لشخصية الإنسان وتصقل سمعته، والتواضع يساعد على التواصل الفعّال وتقبل وجهات النظر المختلفة، والاحترام يعكس تقدير الشخص للآخرين وثقافاتهم؛ والمربي يستفيد بشكل كبير من هذه الآداب، إذ تُعد أساسا لبناء بيئة تربوية صحيحة وإيجابية، فهو يستطيع تعزيز هذه القيم من خلال النموذج الحي الذي يقدمه.

وخلاصة القول في ذلك أن قصّة لقمان مع ابنه كشفت عن العديد من المبادئ التربوية القيّمة التي يمكن للمربي أن يستفيد منها، فهي تظهر قيمة الحكمة والتوجيه الصائب وهما الركن الأساسي في بناء العلاقة بين المربي وابنه أو تلميذه. وتؤكد على ضرورة

---

[1] التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج11، ص121.

[2] التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1، ص412.

[3] ينظر تفسير الآيات: الكشاف، الزمخشري، ج3، ص497/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص351/ التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1، ص412.

الإصغاء والاهتمام الفعَّال بما يقوله الابن، وتوجيهه بطريقة تشجيعية؛ كما تبرز أهمية التربية بالقدوة الحسنة، إذ لابد أن يكون المربي نموذجا يحتذى به في كيفية التفكير والتصرف، وهذه من أبرز المبادئ التربوية التي يمكن أن يستفيد المربي منها بشكل عام.

4. خاتمة:

في ختام بحثنا هذا توصلنا إلى جملة من النتائج، ولعل من أهمها:

- أن التربية سلوك تربوي قويم راق، وهي الأداة الأساسية للمجتمع في المحافظة على مقوماته المتينة من أساليب الحياة وأنماط التفكير المختلفة، في سبيل تسديده في درب الحق والصواب.
- انفردت القصة القرآنية بمميزات تربوية لا تتوفر في أي أسلوب تربوي آخر، فهي أبلغ في الوعظ وأقوى في الزجر، كما أنها وسيلة لنقل صورة حيّة لحياة الأمم السابقة.
- كشفت لنا قصة امرأة عمران مع ابنتها وقصة هاجر مع ابنها عليهم السلام، عن مبادئ تربوية غاية في الأهمية، لابد للأم من مراعاتها في تنشئة الأجيال وتربيتهم على عظيم الخصال.
- للأم دور عظيم في تهذيب سلوك الطفل، وصلاحها يثمر صلاح أبنائها، لذا وجب الحرص على إصلاحها وتوعيتها بأثرها ودورها التربوي المهم في حياة أولادها خاصة في غرس العقيدة السليمة.
- اتضح من قصة لقمان الحكيم مكانة الأب في تربية وتأديب الأولاد، وأن دوره لا يقل أهمية عن دور الأم، فهما يشكّلان أساسا راسخا لبناء شخصيات قوية ومسؤولة.
- اشتركت القصص الثلاثة في عدد من المبادئ التربوية فقد كشفت عن أهمية الثقة بالله والتقوى، ووضّحت قيمة الحكمة والتوجيه السليم، كما نبّهت إلى أهمية الصبر والثبات في مواجهة التحديات.

5. قائمة المراجع:

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**.

– إتحاف النسوان بفوائد قصة امرأة عمران، مراد بن أحمد عطاسي، ط1، 1435هـ/ 2013م.
– أثر القصص القرآني في تعليمية الإنسان، باي بن يزيد، مج2، العدد: 6، جويلية 2014، جامعة سيدي بالعباس، الجزائر.
– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العقلي محمد بن محمد بن مصطفى، د.ط، د.ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
– أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ط25، 1428هـ/2007 م، دار الفكر، سوريا.
– الأهداف التربوية للعبادات في الإسلام، أحمد محمود حسن عياد، رسالة دكتوراه في التربية، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر.
– التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي، ت: عبد الله الخالدي، ط1، 1416هـ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت: لبنان.
– التصوير الفني في القرآن، إبراهيم حسين الشاربي سيد قطب، ط17، 1425هـ/ 2004م، دار الشروق، القاهرة: مصر.
– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط2 ،1418هـ، دار الفكر المعاصر، دمشق: سوريا.
– التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ط2، 1430هـ/ 2009م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.
– التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط1، 1998، دار النهضة، مصر.
– تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت: 1205هـ)، ت: عبد الكريم العزباوي، د.ط، 1399هـ/ 1979م، مطبعة حكومة الكويت.

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور، دط، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.
- تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، بديوي يوسف وقاروط محمد محمد، ط2، 1423ه/2003م، دار المكتبي، دمشق: سوريا.
- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا، دط، 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط1، 1365هـ-1946م، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، 1420ه/2000م، مؤسسة الرسالة، بيروت: لبنان.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 1422ه/2001م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر.
- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، 1384ه/ 1964م، دار الكتب المصرية، القاهرة: مصر.
- سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، رسالة دكتوراه، 1971، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، 1407ه/ 1987 م، دار العلم للملايين، بيروت: لبنان.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، ط5، 1414ه/ 1993م، دار اليمامة، سوريا.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، 1374ه/ 1955م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر.
- القصة في القرآن الكريم، مريم السباعي، دكتوراه، إشراف: أحمد غلوش، 1404ه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- الكشاف في حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وحوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ط3، 1407ه، دار الكتاب العربي، بيروت: لبنان.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي (ت: 1094ه)، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، د.ط، 1419ه/ 1998م، مؤسسة الرسالة: بيروت، لبنان.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، ط3، 1414 ه، دار صادر، بيروت: لبنان.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332ه)، ت: محمد باسل عيون السود، ط1، 1418ه، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام الشافي محمد، ط1، 1422ه، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت: بعد 666ه)، ت: محمود خاطر، د.ط، 1415ه/ 1995م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت: لبنان.
- المستضعفات من النساء وصاحبات الجاه والسلطان في ضوء القرآن الكريم، أسماء رياض، رسالة ماجستير، 1439هـ-2018م، الأردن.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ- 1979م، دار الفكر، سوريا.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط3، 1420ه، دار إحياء التراث العربي، بيروت: لبنان.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، ط1، 1412ه، دار القلم: دمشق، سورية.
- مقومات الأم المربية في ضوء القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، نورة مسفر عبد الله القحطاني، كلية التربية بجامعة الملك خالد المملكة العربية، السعودية.
- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دط، دت، دار الكتب العلمية، بيروت.